

مجلة المعهد المصري

EGYPT INSTITUTE JOURNAL

A Peer-Reviewed Journal, (Online)ISSN: 2717-8196 فصلية علمية محكمة 2016

المجلد 01 | العدد 01 | يناير 2016 :: Volume 01, Issue 01, January 2016

حماس والحركة السلفية في قطاع غزة.. الواقع والآفاق

محمد أبو سعدة (فلسطين)

باحث دكتوراه في دراسات الشرق الأوسط جامعة ساكاريَا التركية.

Mohammed Abu Saada, a Ph.D. student, Sakarya University,
Middle East Institute

Hamas and the Salafi Movement in the Gaza Strip, Reality and Prospects

Mohamed Abu Saada (Plestine)



دراسة الباحث محمد أبو سعدة " حماس والحركة السلفية في قطاع غزة الواقع والآفاق"، وحاولت الاجابة على تساؤل أساسي، مفاده ما طبيعة العلاقة بين الحركة السلفية الجهادية في غزة وحركة حماس الفلسطينية ومستقبلها؟ وقد اعتمد أبو سعدة على المنهج التاريخي التحليلي المقارن في دراسته.

The study to answer a fundamental question, namely, What is the nature and future of the relationship between the Salafi Jihadist movement in Gaza and the Palestinian Hamas movement? The writer relies on the comparative historical analytical approach in his study.

مقدمة

من الأسئلة التي تتكرر كثيراً في الآونة الأخيرة: هل السلفية الجهادية المسلحة التي تميل إلى العنف والمعروفة الآن باسم "داعش" موجودة في قطاع غزة؟ في الحقيقة هناك العديد من المؤشرات التي تدل على وجود الجماعة السلفية الجهادية في قطاع غزة، وهم في الغالب جماعة تشكلت من مجموعة أشخاص ينتمون إلى مجموعات عسكرية متعددة أغلبها جاء من الجماعات السلفية، ولجان المقاومة الشعبية، وبعض عناصر حركة حماس، الذين تخلوا عنها نتيجة لبعض المواقف التي اتخذتها الحركة، أهمها المشاركة في الانتخابات التشريعية عام 2006م، ومنهم من عاد إلى غزة بعد اشتراكه في القتال في سوريا، التي يصلها مقاتلو غزة عن طريق تركيا، مستغلين عدم معرفة الجهات الأمنية المصرية أو التركية لهويتهم أو انتمائهم.

ونظراً لأن السلفية الجهادية حديثة عهد بفلسطين، فهي تتركز بشكل كامل تقريباً في قطاع غزة، فلا يكاد يكون لها وجود تقريباً في الضفة الغربية. ولكن بعد تدهور الأوضاع في الوطن العربي وسيطرة "داعش" على الكثير من المناطق، بدأت حركة حماس بصفتها الحاكمة في قطاع غزة في التحرك ضد مؤيدي داعش في غزة بعد أن قاموا بتنفيذ عدة تفجيرات تستهدف مراكز ثقافية دولية، من خلال استهدافهم بأكثر من حملة اعتقالات، خاصة بحق قادتهم الذين يعتقد أنهم بايعوا "داعش".

وعلى الرغم من أن فلسطين هي أرض الجهاد فلم تتعرض دولة الاحتلال لأي هجمة منظمة من قبل السلفيين الجهاديين، بل الملاحظ بأن الجماعات السلفية المسلحة القليلة المتواجدة في قطاع غزة لم يكن لها دور فعال تقريباً في الحروب التي شهدتها قطاع غزة في الأعوام 2008 - 2012-2014، مما جعل الباحثين والمهتمين بهذا الشأن يثيرون العديدة من التساؤلات.

إلا أن الأشد غرابة أن الجماعات السلفية المسلحة في القطاع تحاول التحرك في أعمال عسكرية في أوقات الهدنة التي تعقد بين فترة وأخرى بين المقاومة الفلسطينية ودولة الاحتلال. لتشكل عبئاً إضافياً على حكم حركة حماس في غزة المتصدع أصلاً نتيجة الحصار المفروض على قطاع غزة منذ ثماني سنوات.

ويبقى التفكير والشغل الشاغل لكل المهتمين بالشأن الفلسطيني عموماً وبشأن الحركات الإسلامية على وجه الخصوص، إلى أين تذهب الأمور؟ وهل ستكون الحركات السلفية بديلاً عن الحركات الإسلامية المعتدلة؟ ولمصلحة من؟ وما هو موقف دولة الاحتلال من ذلك؟

أولاً: مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في تنامي القوة السلفية الجهادية في منطقة الشرق الأوسط، في ظل تزايد الأسئلة عن أسباب ظهورها وطبيعتها أدائها، والذي جاء مقروناً مع ثورات الربيع العربي، وفي ظل تنامي دور حركة الإخوان المسلمين في هذه الثورات، وكذلك في ظل وجود أحد أفرع الإخوان المسلمين (حركة حماس) المقاومة للاحتلال الإسرائيلي؛ فقد

بدأت أصوات تتعالى من السلفية الجهادية بتكفير حركة حماس بل محاولة المساس بأرواح وممتلكات تعود للحركة. لذا فقد رأى الباحث ضرورة البحث والتحليل في مدى تأثير السلفية الجهادية في غزة على حركة حماس ومستقبل قطاع غزة، في ظل تواجد صهيوني يسخر كل الإمكانيات ويستغل كل الظروف لصالحه.

ثانياً- تساؤلات الدراسة:

تنطلق الدراسة من سؤال أساسي، مفاده ما طبيعة العلاقة بين الحركة السلفية الجهادية في غزة وحركة حماس الفلسطينية ومستقبلها؟

ثالثاً- فرضيات الدراسة:

- 1- سلوك الحركة السلفية في قطاع غزة يشكل أزمة سياسية لحركة حماس الحاكمة للقطاع.
- 2- استشراف مستقبل العلاقة بين الحركة السلفية وحركة حماس في قطاع غزة يساعد حركة حماس على احتواء الحركة السلفية في القطاع.

رابعاً- منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج التالي:

1- المنهج التاريخي التحليلي المقارن:

اعتمد الباحث على المنهج التاريخي لأنه يعتقد أن رسم السياسات والعلاقات الدولية يجب أن تمر من خلال معرفة العلاقات التاريخية السابقة بين الطرفين. ولكن هناك عيب يتمثل في أن الروايات التاريخية غير دقيقة وبها أخطاء، بالإضافة إلى حدوث تغيرات جوهرية. فالمنهج يقصد به الطريق أو الأسلوب أما المقارنة فتعني تلك العملية التي يتم من خلالها إبراز أو تحديد أوجه الاختلاف وأوجه الائتلاف بين شيئين متماثلين أو أكثر، وهذا يعني بدوره استحالة عقد مقارنة بين شيئين متناقضين تماماً. واعتمد الباحث هذا المنهج بغرض تتبع الجذور التاريخية لنشأة كل من حركة المقاومة الإسلامية - حماس، والحركات السلفية في فلسطين، ورصد بعض الأحداث التي وقعت فيما بينهما. وكذلك المقارنة بين الجماعتين، خصوصاً أن هناك العديد ممن يدمج بينهما نتيجة لتشابه بعض الأدوار فيما بينهما⁽¹⁾.

2- نظرية إدارة الأزمة

للأزمات بأنواعها المختلفة أدوار كبيرة في تحديد تأريخ ومصير الشعوب والمجتمعات. وفي حقيقة الأمر؛ فإن قراءة التاريخ تثبت أن الأمم والمجتمعات التي اعتمدت على سياسة فعالة في التعامل مع الأزمات، كانت أكثر قدرة على الاستمرار من الأمم والمجتمعات التي كانت تلجأ إلى الأساليب غير الرشيدة في التعامل مع أزماتها. وقد تظهر الأزمة نتيجة لغياب السياسة أو الخطط أو عدم الرشد في اتخاذ القرارات أو لأسباب أخرى عديدة قد تخرج عن سيطرة الإدارة، كما أن الأزمة ربما تكون نتيجة لخلل ما في إنجاز الوظائف الإدارية (تخطيط، وتنظيم، وتوجيه، ورقابة، واتخاذ قرارات)، أو قصور في إدارة البيئة الكلية للمنظمة⁽²⁾.

خامساً: حدود الدراسة:

(1) إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية، دراسة في الأصول والنظريات، (القاهرة: دار النشر المكتبة الأكاديمية، ط4، 1991)، ص14.

(2) مليكة مرياح، استراتيجية إدارة الأزمات وفعالية التسيير. دراسة نظرية وتطبيقية، ط1، (القاهرة: دار الكتاب الحديث، 2012)، ص123.

الحدود المكانية: قطاع غزة.

الحدود الموضوعية: مستقبل العلاقة بين السلفية الجهادية وحركة المقاومة الإسلامية حماس، وتأثيرها على قطاع غزة والقضية الفلسطينية.

سادساً: تقسيمات الدراسة:

الفصل الأول: حركة حماس والسلفية في فلسطين: الجذور والنشأة.

الفصل الثاني: علاقة الحركة السلفية بحركة المقاومة الإسلامية حماس.

المبحث الأول: نقاط الاتفاق والاختلاف.

المبحث الثاني: أسباب تصاعد الأزمة.

الفصل الثالث: مستقبل العلاقة بين الحركات السلفية وحركة حماس " دراسة استشرافية ".

السيناريو الأول: الهدنة بين حماس وإسرائيل

السيناريو الثاني: التفاهم بين حماس والسلفيين.

السيناريو الثالث: التصعيد العسكري ضد حماس.

الفصل الأول

حركة حماس والسلفية في فلسطين: الجذور والنشأة

تحمل علاقة حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين "حماس" - إحدى فروع جماعة الإخوان المسلمين العالمية- بالتيارات السلفية الفلسطينية غموضاً يعود إلى الأسس الفكرية لكليهما، وظروف النشأة وهوية ومرجعية كل منهما وعلاقتها بالمحيط والبيئة القريبة والبعيدة، حيث لا يمكن إغفال تلك المراجعات المهمة لكليهما⁽³⁾، لذا سنتناول موجزاً مختصراً لجذور ونشأة كل من حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين "حماس" والحركات السلفية في فلسطين.

أولاً: حركة المقاومة الإسلامية (حماس):

تأسست حركة المقاومة الإسلامية "حماس" في ديسمبر/كانون الأول عام 1987م، بهدف إنشاء دولة فلسطينية أساسها "الإسلام"، وذلك بعد أن عقد اجتماع في منزل الشيخ أحمد ياسين وبحضور كل من عبد العزيز الرنتيسي وإبراهيم المقادمة ومحمد شمعة وقد ترأس هذه الحركة الشيخ أحمد ياسين من ديسمبر 1987م⁽⁴⁾ حتى اغتياله في 22 مارس/آذار عام 2004م، حيث ترأس الحركة من بعده عبد العزيز الرنتيسي الذي اغتيل أيضاً بعد أقل من شهرٍ من اغتيال ياسين، ثم ترأس خالد مشعل الحركة منذ عام 2004 م وحتى اليوم.

(3) حسن عبد الفتاح، إشكالية العلاقة بين التيارات السلفية وجماعة الإخوان المسلمين وأثرها على عملية التحول الديمقراطي في مصر، رسالة ماجستير غير منشورة، (نابلس: جامعة النجاح، 2014)، ص 38.

(4) مهيب النواقي، حماس من الداخل، (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2002)، ص 22.

أما جذور الحركة قبل تأسيسها فتتمثل في أنها انطلقت " كمجموعة من الإخوان المسلمين" في البداية كمؤسسات خيرية ودينية منذ فترة الستينيات إلى الثمانينيات، كالعيادات الطبية والمدارس الخاصة، ومؤسسات إغاثة ترعى الأسر المحتاجة، علماً أن هذه المؤسسات ما زالت تعمل حتى الآن إلى جانب دور حركة حماس كحكومة ومقاومة⁽⁵⁾.
تنقسم حركة حماس إلى ثلاثة محاور:

أولاً: المحور الديني:

ترتكز هوية حماس الأيديولوجية وطرحها السياسي والفكري على النقاط التالية:

- 1- إنها حركة جهادية شعبية إسلامية تستند في فكرها ووسائلها وسياساتها ومواقفها إلى تعاليم الإسلام وتراثه الفقهي.
- 2- تؤمن بتوسيع دائرة الصراع ضد المشروع الصهيوني إلى الإطارين العربي والإسلامي، وأن تحرير فلسطين لن يتم إلا بتضافر جهود المسلمين جميعاً، وأن الإسلام هو المؤهل الوحيد لتفجير طاقات الأمة وتحرير الأرض المقدسة.
- 3- تؤمن بأن قضية فلسطين قضية إسلامية أساساً، وأنها أمانة في عنق كل مسلم. وأن تحريرها فرض عين على كل مسلم حيثما كان.
- 4- تؤمن بأن المعركة مع العدو اليهودي الصهيوني معركة وجود وليس معركة حدود. وأنها معركة تتوارثها الأجيال، وأنها صورة من صور الصراع بين الحق والباطل.
- 5- تؤكد على أن شعب فلسطين هو رأس الحربة في مواجهة المشروع الصهيوني، وأنه لا بد من إعداده ودعمه بكافة الوسائل ليقوم بدوره المنشود.
- 6- ترى أن فلسطين أرض وقف إسلامي لأجيال المسلمين إلى يوم القيامة؛ ولا يصح التفريط أو التنازل عنها أو عن أي جزء منها.
- 7- تُفرِّق حماس التعددية الدينية، وترى أن المسيحيين شركاء في الوطن، ولهم من الحقوق والواجبات مثل غيرهم، وأنهم يجب أن يأخذوا نصيبهم كاملاً في مقاومة الاحتلال⁽⁶⁾.

ثانياً: المحور السياسي:

تمتلك حركة حماس مكتباً سياسياً لقيادتها منذ تأسيسها ويرأس المكتب السياسي حالياً السيد خالد مشعل ونائبه السيد إسماعيل هنية، كما يوجد تمثيل سياسي آخر للحركة بعد أن شكلت حكومة ذات برنامج سياسي. نتيجة لمشاركتها في الانتخابات البرلمانية الفلسطينية للمرة الأولى في 25 يناير/كانون الثاني في عام 2006م، تحت تسمية "كتلة التغيير والإصلاح"، وفازت بأغلبية 76 مقعداً من أصل 132 مقعداً في المجلس التشريعي الفلسطيني، مقابل 43 مقعداً لحركة فتح الممثلة لمنظمة التحرير الفلسطينية.

وقد كان لمشاركة حركة حماس في الانتخابات التشريعية ردود فعل إيجابية وسلبية "داخليا وخارجيا" خصوصا إذا علمنا أن هناك عناصر من الحركة قررت التخلي عنها واللجوء إلى التنظيمات السلفية "المتشددة" متهمين الحركة

(5) محمد أبو سعدة، السياسة الإيرانية تجاه حركات المقاومة الإسلامية في فلسطين، رسالة ماجستير غير منشورة، (غزة: جامعة الأزهر، 2013)، ص 77.

(6) محمد احمد الزيناتي، التجربة السياسية لحركة حماس في حكم قطاع غزة: 2007-2013، رسالة ماجستير غير منشورة، (غزة: الأزهر، 2013)، ص 30.

بالتنازل عن بعض مبادئها من أجل تحقيق مكاسب دنيوية وعلى رأسهم "أبو عبد الله السوري" الخبير في المتفجرات، الذي كان ضمن الجناح العسكري لحركة حماس⁽⁷⁾.

ثالثاً-المحور العسكري:

ويتمثل في "كتائب الشهيد عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة حماس، وتبلغ ميزانية حركة حماس وجناحها العسكري كتائب الشهيد عز الدين القسام، السنوية نحو 70 مليون دولار، ومصدر تمويلها يأتي من المؤسسات الخيرية الإسلامية في الغرب والمتبرعين في الشرق الأوسط، بالإضافة إلى إيران، قبل اندلاع الثورة السورية⁽⁸⁾.

ونتيجة لموقف الحركة المعارض بشكل كامل لاتفاقية السلام التي عقدتها منظمة التحرير الفلسطينية مع دولة الاحتلال في أوسلو عام 1993م، تبنى الجناح العسكري التابع "لحماس" العديد من التفجيرات التي وقعت في قلب دولة الاحتلال واستطاعت أن تفرض نفسها كقوة معارضة فلسطينية حقيقية لاتفاق أوسلو⁽⁹⁾.

وفي حزيران / يونيو عام 2007م، قرر الجناح العسكري لحركة حماس التخلص ممن أسماهم العقبات في تأدية حكومة حماس لعملها كحكومة؛ متهمه إياهم بالخيانة وهم "ممثلون بعناصر حركة فتح التابعين للقيادي محمد دحلان" مما ترتب عليه انقسام فلسطيني في النظام السياسي، متماشيا مع الانقسام الجغرافي بين الضفة الغربية وقطاع غزة⁽¹⁰⁾.

إلا أنه وفي محاولة لإصلاح الأمور؛ تم الإعلان عن مصالحة بين حركتي فتح وحماس في 6 فبراير 2012م، وذلك بقيادة الرئيس الفلسطيني محمود عباس، كجزء من عدة اتفاقيات أخرى سبقتها، ليتم بعد ذلك بعقد اتفاق آخر يعرف باسم "اتفاق الشاطئ" عام 2014م، لكن أي من هذه الاتفاقيات التي وقعت لم تحقق أي تغير ملموس على الأرض⁽¹¹⁾.

وقد طبقت في 19 يوليو/حزيران عام 2008م، هدنة لوقف إطلاق النار مع دولة الاحتلال وبوساطة مصرية، وعدت حركة حماس فيها بوقف إطلاق الصواريخ على دولة الاحتلال، وفي المقابل وعدت دولة الاحتلال بإتاحة المجال للتبادل التجاري مع قطاع غزة. الهدنة أعلنت لمدة ستة أشهر، ومن ثم تواصل بعدها القتال بين الطرفين وقد بلغ ذروته عندما شنت دولة الاحتلال عدوانا شرسا على قطاع غزة، أواخر 2008م، واستمر حتى بدايات عام 2009م⁽¹²⁾.

ثم جاء إفراج الحركة عن السجن الصهيوني جلعاد شاليط في 17 أكتوبر/تشرين أول عام 2011م، في اتفاقية لتبادل الأسرى مقابل إفراج سلطات دولة الاحتلال عن 1012 سجينا فلسطينياً.

(7) حسين أبو النمل، حماس من المعارضة للسلطة، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2007)، ص 26.

(8) رضوان زيادة، السلطة والاستخبارات السورية، ط1، (بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، 2013م)، ص 88.

(9) عبد المجيد حمدان، الانتفاضة محاولة تقييم، (رام الله: دار التنوير للنشر والترجمة والتوزيع، 2002م)، ص 55.

(10) حسن ابحيص، وآخرون، صراع الارادات السلوك الامني لفتح وحماس والاطراف المعنية 2006-2007، ط1، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2009)، ص 44.

(11) موقع الجزيرة نت، قمت بزيارته بتاريخ 1-11-2015، وثيقة تفاهات حركتي فتح وحماس لتنفيذ اتفاق المصالحة، <http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2014/9/26/%D9%88%D8%AB%D9%8A%D9%8>

(12) أمين حطيط، وآخرون، دراسات في العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، ط1، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2009)، ص 213.

ثم قيام دولة الاحتلال باغتيال قائد الجناح العسكري لكثائب القسام، أحمد الجعبري، في هجوم استهدفت الطائرات الإسرائيلية سيارته في 14 نوفمبر 2012م، وبدأت بعدها الصواريخ المنطلقة من قطاع غزة إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة، واستمرت الاشتباكات على إثرها لتسعة أيام، وانتهت الهجمات بعد أن لعبت دولة مصر فترة الرئيس محمد مرسي دوراً مهماً في وقف العدوان على غزة. علماً بأن حركة حماس تمكنت في هذا العدوان من إطلاق صاروخ "فجر-5" من قطاع غزة وتفجيره في مدينة القدس، في 16 نوفمبر 2012م، واعتبر ذلك إنجازاً لجناحها العسكري⁽¹³⁾.

وخاضت حركة المقاومة الإسلامية حماس وإلى جانبها فصائل المقاومة الفلسطينية الأخرى في صيف العام 2014، حرباً عُدت الأقوى والأعنف في المنطقة العربية، بعد أن شنت دولة الاحتلال هجوماً كاسحاً على قطاع غزة، نفذت خلاله أكثر من 6660 غارة وهجمة على قطاع غزة، واستمرت 51 يوماً، استشهد فيها ما يقارب 2500 شهيد، وأكثر من 13000 إصابة⁽¹⁴⁾.

حماس: الموقف والرؤية من الحركة السلفية

يقول د. أحمد يوسف في كتابه "حماس والحركة السلفية في قطاع غزة: آفاق الرؤية والعمل المشترك" إن حركة حماس تنطلق من منطلقات الإسلام المعتدل، وتؤمن بفكرة الوسطية في الدعوة والقتال، وهي حركة تحرر وطني ذات خلفية إسلامية، كما تقف على مسافة واحدة من جميع التنظيمات الإسلامية، وهي ترى أن تحقيق الوحدة الإسلامية الشاملة هي الأمنية التي لم تتحقق بعد، وتحاول أن تضم تحت جنباؤها - من خلال التفاهم والقواسم المشتركة - كل المسلمين الآخرين في الساحة الفلسطينية.

وأكد أن حماس لا ترى في التيار السلفي - كأنشيطه وأفكاره - خطراً يهدد مصالحها؛ بل لديها مخاوفها من موجة العنف الدامي التي تجتاح الوطن العربي، وتحرص على توسيع قنوات التواصل مع مشايخ السلفية في داخل القطاع وخارجه، حيث تعطي الحركة مساحةً واسعةً للسلفية ودعاتها وجمعياتها بالتحرك في ساحة العمل الدعوي، والخيري، والعلمي، ولا تتصادم معهم في سجلات ومواجهات ومناظرات حول العمل الإسلامي، إنما الساحة متروكة لكل وجوه العمل وأشكاله الدعوية والنضالية المختلفة، خصوصاً وأنا شعب تحت احتلال استيطاني بغيض، له طبيعة تختلف عن باقي شعوب العالم⁽¹⁵⁾.

ثانياً: الحركة السلفية في فلسطين

النشأة والتطور

بدأت الحركة السلفية في فلسطين نشاطها في بداية الثمانينات، وقد انحصر دورها في العمل الدعوي والخيري، نائية بنفسها عن المعتزك السياسي. إلا أن الحركة السلفية في فلسطين تطورت بعد ذلك لتضم تيارات مختلفة، بينها المعتدل الوسطي، الذي يلتزم بالدعوة والعمل الخيري، والجهادي الذي يدعو إلى الجهاد والمقاومة المسلحة. وتعد السلفية

(13) محمد أبو سعدة، السياسة الإيرانية تجاه حركات المقاومة الإسلامية في فلسطين، مرجع سبق ذكره، ص 97.

(14) تقرير صادر عن مؤسسة شركاء السلام والتنمية، غزة - فلسطين - بتاريخ 1-9-2014م.

(15) أحمد يوسف، حماس والحركة السلفية في قطاع غزة: آفاق الرؤية والعمل المشترك، (غزة: بيت الحكمة، 2015)، ص 30.

الدعوية من أقدم أنواع السلفية في فلسطين، وهي تبدو حذرة جداً فيما يتعلق بمقاربة العمل السياسي أو الانخراط فيه؛ وتتنظر إلى الرئيس محمود عباس على أنه ولي الأمر الذي وجبت طاعته حسب ما أمر الشرع⁽¹⁶⁾.

ومن أهم المؤسسات السلفية الدعوية في فلسطين:

- 1- المجلس العلمي للدعوة السلفية: برئاسة ياسين الأسطل، ومركزه مدينة غزة، يهتم بتقديم الخدمات الاجتماعية.
- 2- جمعية القرآن والسنة: برئاسة الشيخ نبيل نعيمي، لها مؤسسات في الضفة الغربية وقطاع غزة، وهي أيضاً تهتم بتقديم خدمات اجتماعية.
- 3- دار الكتاب والسنة: لها عدة فروع في قطاع غزة أهمها في محافظة خان يونس جنوب القطاع ويرأسها عبد المصري، وتهتم بإنشاء المدارس والمكاتب الدينية إضافة إلى العديد من المخابز.
- 4- جمعية ابن باز الخيرية: برئاسة عمر الهمص، مقرها غزة، تهتم بتقديم خدمات خيرية للمحتاجين، وعلى الرغم من أنها - ظاهرياً - مؤسسة سلفية دعوية، إلا أن جهات فلسطينية عديدة، ومن بينها الأجهزة الأمنية في حكومة حماس، تعتبرها أقرب إلى السلفية الجهادية.

وقد كان لهذه المؤسسات دور هام في إبراز وتمدد التيارات السلفية بشقيها الدعوي الذي لا يؤمن بالعنف؛ والجهادي الذي يؤمن بالجهاد طريقاً لإعلان دولة الخلافة. وتعتبر أحزاب مثل أنصار السنة والتوحيد والجهاد وجيش الإسلام، إلى جانب جيش الأمة، أهم فصائل السلفية الجهادية في الأراضي الفلسطينية. وينظر المتابعون للشأن السياسي الفلسطيني إلى الجماعات السلفية الناشئة بشك، ويختلفون بشأن ما إذا كانت تزداد قوة أم لا، مؤكدين أنها لا تشكل حتى الآن البديل عن الأحزاب والحركات الإسلامية مثل حماس والجهاد الإسلامي⁽¹⁷⁾.

منطلقات السلفية في فلسطين

تعتبر السلفية في فلسطين كبقية التيارات السلفية المنتشرة في العالم، في تعريف نفسها فهي تؤكد بأن مفهوم السلف يعني النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة والقرون الخيرة، أي أجيال الصحابة والتابعين وتابعي التابعين. ويشير قادة السلفية إلى أن الدعوة السلفية في فلسطين موجودة منذ جاء الصحابة إلى هنا، لأنهم جاءوا بالدعوة إلى فلسطين، إلا أن المجموعات السلفية الحديثة ظهرت في بداية ثمانينيات القرن الماضي في قطاع غزة على أيدي عدد من الطلبة والمدرسين الذين تلقوا تعليمهم في السعودية ودول الخليج، وعندما عادوا إلى غزة اختاروا مواصلة الدعوة التي حملوها من علماء كبار هناك.

كما لا تعتبر الجماعات السلفية نفسها جزءاً من النظام السياسي الفلسطيني، بل جزءاً من منظومة دينية أكبر تشمل العالم الإسلامي وتتباهى بالعلاقة مع الجهاد العالمي والقاعدة. وتنكر الحركة السلفية في الأراضي الفلسطينية كونها أحزاباً أو قوى سياسية أو مجتمعية، مؤكدة أنها تمثل منهجاً، من التزم به فهو سلفي أكان معهم في تجمعاتهم أو لم يكن.

ويقدر عناصر الحركة السلفية الموجودون في الأراضي الفلسطينية بالآلاف، إلا أن قيادات الحركة السلفية تقول بأنه تتم محاربتهم من عدة جهات أولها الاحتلال والحكومات في الضفة الغربية وقطاع غزة من خلال الاعتقالات

(16) مركز أبحاث المستقبل، الحركات الإسلامية والحركات السلفية، (غزة: مركز أبحاث المستقبل، 2015م)، ص 22.

(17) بشير موسي نافع، وآخرون، الظاهرة السلفية: التعددية التنظيمية والسياسات، (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2014)، ص 164.

والتعذيب، وكذلك من التيارات العلمانية واليسارية التي تسعى إلى تشويه مفهوم كلمة سلفي في ذهن العامة من خلال ندوات ومقالات تحريضية. وبقي نشاط السلفيين في غزة ضعيفاً في بداية عملهم، إلا أنهم ازدادوا واتسع عملهم مع عودة السلطة الوطنية عام 1994م، التي أعطت التراخيص لبعض الجمعيات التي أقاموها لنشر الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالوسائل السلمية⁽¹⁸⁾.

الأسباب التي ساعدت على ظهور السلفية الجهادية في غزة:

1- مشاركة حماس في الانتخابات التشريعية، وسعيها للانخراط في المنظومة السياسية الفلسطينية، بما في ذلك منظمة التحرير، ما اعتبر برأي السلفيين اتباعاً من حماس لوسائل علمانية، وتنبياً للأسلوب الديمقراطي في الوصول للسلطة، وهو ما يتعارض مع الأسس الشرعية والفكرية التي تستند إليها السلفية الجهادية.

2- التهدة التي سادت قطاع غزة بشكل شبه متواصل - مع فترات تصعيد متقطعة - منذ وصول حماس إلى السلطة في يناير 2006م، وهو ما وصفه السلفيون الجهاديون في سياق تخلي حماس عن خيار المقاومة، وتكرارها لتجربة حركة فتح، وتقاعسها عن واجب الجهاد في مواجهة الممارسات الاسرائيلية، وتحديد الاستيطانية والتهويدية في القدس بشكل خاص والضفة الغربية بشكل عام.

3- الانقسام الفلسطيني، باعتباره أحد أسباب نمو الحركات السلفية الجهادية، خاصة أن البعض وضعه في سياق الصراع على السلطة، والذي أدى إلى تفشي التطرف في صفوف فئة من الشباب شعرت بالغبن والظلم وهو ما يفسر وجود أعضاء سابقين من حماس وفتح في صفوف الجماعات السلفية الجهادية المختلفة.

4- صعود تنظيم القاعدة في السنوات العشر الماضية وانتشار أفكاره ولو بشكل متفاوت في العالم العربي، وميل شريحة -ولو محدودة- من الشباب لأسلوب القاعدة بوصفه النموذج المناسب لمواجهة الهيمنة الأميركية والغربية الإسرائيلية على المنطقة⁽¹⁹⁾.

ويعود تأخر وصول السلفية الجهادية إلى فلسطين، إلى عدة أسباب منها ما امتازت به الحركة الوطنية الفلسطينية تاريخياً من فاعلية وحضور لثراء تجربتها، ولإسماكها بكثير من مفاصل القوة داخل المجتمع. إضافة لقوة الحركة الإسلامية الفلسطينية وتجذرها داخل المجتمع؛ وهو ما كان له أثره الملحوظ في الحد من امتداد السلفية الجهادية، فقد تمكنت من استيعاب الطاقات الشبابية المتدينة التواقفة إلى العمل المقاوم، وخصوصاً في إبان الانتفاضتين، كما نجحت في إدارة حوار جاد مع الإسلاميين الشباب ممن تأثروا بنوازع سلفية جهادية، وقد تمت أغلبية النقاشات في المساجد والسجون والجامعات.

كما كان لاحتلال الإسرائيلي دوراً في تأخر وصول السلفية الجهادية إلى فلسطين بحكم سيطرته المحكمة على الحدود وإجراءاته القمعية بحق الفلسطينيين، وعرقلته إقامة دولة فلسطينية مستقلة قد يشكل نظامها السياسي وأداء مؤسساتها فرصة لانتشار أفكار السلفية الجهادية.

إضافة إلى تقارب الموقف لدي الفصائل الفلسطينية المختلفة -الوطنية والاسلامية- من الحركات السلفية الجهادية، وذلك من خلال منع تمكين هذه الحركات السلفية الجهادية من التمدد والانتشار وهذا يفسر أداء حكومة فتح في

(18) فادي عاكوم، السيد عبد الفتاح، داعش الكتاب الأسود، (القاهرة: مكتبة مصر الجديدة، 2015م)، ص 44.

(19) بشير موسى نافع، وآخرون، الظاهرة السلفية التعددية التنظيمية والسياسات، مرجع سبق ذكره، ص 167.

الضفة واداء حكومة حماس بغزة ضد السلفيين الجهاديين، من خلال اعتقال أي ناشط عسكري تابع للسلفية الجهادية يتم اكتشافه سواء بقطاع غزة او الضفة الغربية⁽²⁰⁾.

التشكيلات الرئيسية للسلفية الجهادية في قطاع غزة:

1- جيش الإسلام:

تعود جذوره إلى أواخر سنة 2005م، بعد الانسحاب الاسرائيلي من قطاع غزة مباشرة. حين بادرت مجموعة من "الجان المقاومة الشعبية" إلى تشكيله. وقد صدر بيانه التأسيسي بتاريخ 8 / 5 / 2006م، وسطح اسم جيش الاسلام على إثر مشاركته في عملية اختطاف الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط على تخوم غزة، وقام جيش الاسلام بتسليم شاليط للجناح العسكري لحركة حماس؛ بسبب عدم مقدرتهم في الاحتفاظ به.

وقد أعلن تنظيم جيش الاسلام مولاته لتنظيم القاعدة؛ وقد تزعمه الضابط السابق في جهاز الأمن الوقائي الفلسطيني "ممتاز دغمش" والذي ربطته علاقة بأحمد مظلوم الملقب بخطاب المقدسي، وقد تمكن التنظيم من حشد عدد من الأتباع قُدّر من قبل بعض المصادر ما بين 200 إلى 300 عنصر⁽²¹⁾.

وقد قام تنظيم جيش الإسلام بتنفيذ بعض الهجمات على المؤسسات الإعلامية الغربية العاملة في قطاع غزة، مثل احتجاز صحفيين تابعين لوكالة "فوكس نيوز" الأمريكية لأسبوعين تقريباً، مطالباً بإطلاق سراح سجناء مسلمين من السجون الأمريكية. وتكرر الأمر بعد خطف الصحفي العامل في بي بي سي، ألن جونستون، في آذار/ مارس 2007م، وطالب التنظيم بإطلاق سراح أبو قتادة الفلسطيني، ويُعتقد أنه نفذ هجمات أخرى على مقارّ جمعية الشبان المسيحية والمدرسة الأمريكية في غزة، وكذلك هجمات ضد بعض قيادات حركة حماس وبالتحديد العاملين في جهاز الأمن الداخلي، وقد أسفرت هذه الهجمات عن مقتل عدد من أفراد كتائب القسام⁽²²⁾.

ويُتهم جيش الإسلام بأنه استمر في استهداف مؤسسات أجنبية في القطاع، منها الهجوم على قافلة أجنبية؛ كالاغتيال على قافلة للصليب الأحمر الدولي في شباط/ فبراير 2010م، ونسج علاقات مع جهاديين من مصر⁽²³⁾.

وقد تراجعت مكانة تنظيم جيش الإسلام بعد قيام الحكومة في غزة بمحاصرة عائلة دغمش في جنوب مدينة غزة في تموز / يوليو 2007م، والاشتباك مع عناصر من جيش الإسلام ومصادرة أسلحتهم، وقد أصدر التنظيم منذ ذلك التاريخ تصريحات تنفي علاقتهم بالقاعدة.

علماً أن هذا التنظيم قد ظهر إلى العلن، وبدأ المواطن العادي البسيط يشعر به في أواخر سنة 2008 م، بعد أن اعتبر الشيخ العلامة عبد اللطيف موسى الأب الروحي للتنظيم ومفتيه، ومعه خالد بنات أميره ومسؤوله العسكري. وقد نشط التنظيم في مدينتي خان يونس ورفح تحديداً، وقُدّر عدد عناصره من 200 إلى 300عنصر تقريباً، يضاف إليهم عدد من الأجانب.

(20) عوني فارس، السلفية الجهادية في فلسطين، مجلة الدراسات الفلسطينية، مجلد 26، عدد 101، شتاء 2015، ص 45-55.

(21) عوني فارس، السلفية الجهادية في فلسطين، مجلة الدراسات الفلسطينية، ص 45-55.

(22) يزيد صايغ، "ثلاث سنوات من حكم حماس في غزة"، تقرير صادر عن مركز كرون لدراسات الشرق الاوسط، جامعة برانديز، ترجمة مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2010م)، ص 45.

(23) المرجع السابق، ص 89.

وقد بدأ التنظيم باختبار قدراته عبر هجمات ضد الاحتلال، ثم توترت علاقاته بحركة "حماس"، وخصوصاً عندما طلبت منه الأخيرة العون إبان حرب 2008-2009 م، فرفض بحجة الموقف الفكري من "حماس"، كما أنّهم بمهاجمة أملاك للمواطنين، ومنهم شخصيات من حركة "فتح". وتُعتبر حادثة مسجد ابن تيمية في مدينة رفح نقطة التحول الكبرى في العلاقة مع الحكومة وحركة "حماس"، حين أعلن الشيخ عبد اللطيف موسى إقامة إمارته الإسلامية في رفح في سنة 2009 م، فما كان من القوات التابعة لحكومة "حماس" إلا محاصرة المسجد والاشتباك مع المعتصمين في داخله، الأمر الذي أدى إلى مقتل عبد اللطيف موسى ومساعدته خالد بنات، وقد تراجع حضور التنظيم كثيراً بعد تلك الحادثة⁽²⁴⁾.

2- جيش الأمة أهل السنة والجماعة:

ظهر في يونيو 2007 م، واستقطب عدداً من الأنصار في مدن خان يونس ورفح وبيت لاهيا، وقد دشن بداياته بإطلاق ثلاثة صواريخ على بلدات إسرائيلية في جنوب فلسطين المحتلة. وكان لجيش الأمة مشاركة متواضعة في إبان الحرب على غزة في 2008، 2009م، وعلى الرغم من تأكيده عدم استخدام العنف في التغيير داخل المجتمع، فإنه أعرب عن تطلعاته بتهديد المصالح الغربية حين أعلن في مؤتمر صحافي في سنة 2008م، نيته استهداف الرئيس الأميركي جورج بوش (الابن) في أثناء زيارة كان ينوي القيام بها للمنطقة⁽²⁵⁾.

3- مجموعة "جلجت":

اسم أطلقه الغزيون على مجموعات عسكرية تتبع نهج السلفية الجهادية، ويُعتبر محمود محمد طالب (أبو المعتصم) الناشط السابق في حركة "حماس"، أحد أهم قادتها. ويُعتقد أن جلجت ظهرت إلى العلن في يونيو 2007 م، وتختلف التقديرات بشأن عدد عناصرها، وتشير بعض المصادر إلى أنها تضم ما لا يزيد على 700 مقاتل. ويُعتقد أن جلجت تواصلت مع (أبو الليث الليبي) أحد قادة القاعدة في أفغانستان، لكنها لم تنضم إليها ولا إلى أي من تفرعاتها خارج فلسطين⁽²⁶⁾.

وقد نفذت جلجت عدداً من العمليات ضد الاحتلال، كان من أبرزها العملية التفجيرية في أوائل سنة 2009، بوضع 3 عبوات ناسفة لاستهداف دورية إسرائيلية، كما حاولت استهداف موكبي الرئيس الأميركي الأسبق جيمي كارتر، ورئيس الحكومة البريطانية السابق توني بلير، اللذين كانا في زيارتين منفصلتين لغزة، ويُنسب إليها أيضاً تفجير العشرات من مقاهي الإنترنت، وكذلك تفجير منزل مروان أبو راس، أحد نواب المجلس التشريعي عن حركة "حماس"، ومقر أمن حكومي في رفح. وقد اعتُقل قائدها في 16 فبراير 2010م.

4- سيوف الحق

ظهرت هذه المجموعة بعد سيطرة "حماس" عسكرياً على قطاع غزة في سنة 2007م، ويقودها أبو صهيب المقدسي الذي ترك حركة "حماس" احتجاجاً على مشاركتها في الانتخابات التشريعية. وتركز وجود المجموعة في بيت حانون، وانخرطت في هجمات ضد مقاهي الإنترنت ومحلات الموسيقى ومقر فضائية "العربية" وغيرها، وقد اتهمتها بعض المصادر بوقوفها في سنة 2007م، وراء اغتيال مسؤول الأمن الفلسطيني جاد تايه، بتهمة العمالة للموساد الإسرائيلي.

(24) محمود الشناوي، داعش. خرائط الدم والوهم، (القاهرة: دار روعة للنشر والتوزيع، 2014)، ص 77.

(25) عبد الباري عطوان، الدولة الإسلامية: الجذور، التوحش، المستقبل، (بيروت: دار الساقى، 2014)، ص 101.

(26) تقرير حسن جابر، "جلجت تنتظر عملية كبيرة لمبايعة بن لادن"، "صحيفة الأيام" (رام الله)، 11 / 7 / 2009م.

5- جماعات أخرى:

ظهرت أيضاً بيانات لعدة جماعات سلفية غير معروفة، مثل: تنظيم "جند الله"؛ "الجبهة الإسلامية لتحرير فلسطين"؛ "أبناء أهل السنّة والجماعة"؛ "جحافل التوحيد والجهاد"؛ "جيش القدس الإسلامي"؛ "قاعدة جهاد ولاية فلسطين الإسلامية"؛ "فتح الإسلام"؛ "عصبة الأنصار"⁽²⁷⁾.

الفصل الثاني**علاقة الحركة السلفية بحركة المقاومة الإسلامية في فلسطين**

الخلاف الفكري بين السلفيين وحركة المقاومة الإسلامية حماس في فلسطين، خلاف معلوم ومنشور وكل فريق يبرز خلافه عبر أدواته الإعلامية والمعارك الفكرية المستعرة بين الطرفين عبر الكتب والمواقع على الإنترنت. إلا أن نقاط الخلاف بينها لا تنكر وجود نقاط التقاء فيما بينهما لذا سيقوم الباحث بعرض نقاط الاتفاق والاختلاف فيما بينها:

المبحث الاول: نقاط الاتفاق والاختلاف**أولاً: نقاط الاتفاق:**

هناك العديد من نقاط الالتقاء بين حماس والسلفية في قطاع غزة، حيث المجال الخيري لدعم الأسر المحتاجة، وقد كان للجمعيات الخيرية - من كلا الطرفين - الدور الأكبر في التخفيف من وطأة الحصار، وأزمة رواتب الموظفين، وكذلك العمل الدعوي الذي يحتل مساحة واسعة في عمل التنظيمات الإسلامية، حيث الخطب والندوات، والمخيمات القرآنية، والدروس الدعوية وغيرها، وكذلك العمل المشترك في محاربة كل أشكال الانحراف والرذيلة من ناحية، وكذلك في معالجة الفكر المتشدد والمتطرف، وتوعية الشباب الواعد أخلاقياً ووطنياً، والأخذ بيده إلى طريق الهداية والرشاد والفعل المقاوم.

وفي تصريح للشيخ اسماعيل حميد القيادي في جيش الأمة "السلفية الجهادية" بأننا نؤيد حماس حركةً مجاهدةً، ونختلف معها في بعض الأمور الخاصة بعمل الحكومة، وهذه -في النهاية- هي مسألة فكرية، والطريق إلى حلها هو عبر الحوار، وأكد الشيخ إسماعيل حميد بأنه لم يبق في صفوف جيش الأمة شخص واحد يكفر حركة حماس، إذ تمّ إبعاد كل العناصر التي أصرت على مواقفها ونهجها المغاير للوسطية والاعتدال. وأضاف: لا يوجد عندنا كذلك من يبيح دم المسلمين، كما أننا نسعى جاهدين لكي نلتقي مع أيّ جهة أو شخص يعمل لخدمة دين الإسلام⁽²⁸⁾.

ثانياً: نقاط الخلاف:**1- نقاط الخلاف من منطلقات حركة حماس**

لا تشكل الحركة السلفية - بشكل عام - خطراً على الساحة الفلسطينية، لكن هناك العديد من المخاوف لدى حركة حماس من جنوح بعض مفردات الفكر السلفي، وخطورة استغلاله من قبل بعض الجهات والأطراف؛ لتحقيق بعض الأهداف المشبوهة. والمخاوف تتمثل في النقاط التالية:

(27) عوني فارس، السلفية الجهادية في فلسطين، مجلة الدراسات الفلسطينية، مرجع سبق ذكره، ص 45-55.

(28) أحمد يوسف، حماس والحركة السلفية في قطاع غزة: آفاق الرؤية والعمل المشترك، مرجع سبق ذكره، ص 38.

- تخشى حركة حماس أن يكون ذلك التيار بجمعياته ومعاهده تربةً خصبة، ومأوى للشباب المتشدد الذي تجول في ذهنه أفكار الغلو والتطرف والتشدد، حيث يجد في المؤلفات، والفتاوى، والنصوص الشرعية، ضالته المنشودة؛ إن لم يجد من أولئك العقلاء من يرشده، ويوضح له المنهج الصحيح للاستدلال.
- إنَّ هناك جهلاً كبيراً في العلم الشرعي لدى أولئك الشباب، وهو الذي يجعل الكثير منهم ينحو باتجاه الغلو والتطرف، دون وعي لدينه وشريعته، فالإسلام بشموليته وصلاحه لكل زمان ومكان، وقد وسع الناس جميعاً.
- انضمام مؤيدي (داعش) تحت راية المقاومة الشعبية، وتشكيل جناح باسم لواء التوحيد.
- مشاهد حرق الأقباط، وذبح المسلمين، وسفك دماء المجاهدين، وموجة التكفير التي اجتاحت بلاد المسلمين، هي من أعظم المخاوف لدى حركة حماس، حيث إن أول من سيكتوي بنار تلك السكين هم تيار الإسلام السياسي، الذي يرى فيه التيار السلفي الجهادي بأنه "المرتد" الذي ترك تطبيق الشريعة، وأوقف الجهاد ضد الأعداء⁽²⁹⁾.
- ما جاء على لسان (أبو حمزة أسعد)، أحد كوادر الحركات السلفية في قطاع غزة، والمقرب من جيش الإسلام، باتهام «حماس» بالكفر «لأنها لا تحكم بما أنزل الله وتقتل وتعتقل المسلمين»، مؤكداً أن «حماس» تنظيم سياسي له أهداف وتطلعات سياسية تتمثل في السيطرة على الحكم. وانتقد «حماس» لقبولها مبدأ الانتخابات التي هي «حرام شرعاً»، ولأنها تحل محل الشورى⁽³⁰⁾.

2- نقاط الخلاف من منطلقات السلفيين:

- الدعوة السلفية في فلسطين ترفض أسلوب "العمليات الاستشهادية" كما ترفض أسلوب الاقتتال والحسم العسكري في الشئون الداخلية، وهذا ما أكده رئيس المجلس العلمي للدعوة السلفية في فلسطين الشيخ ياسين الأسطل، بعد اشتباكات عام 2007م، وسيطرة حماس على قطاع غزة⁽³¹⁾.
- نظرة السلفية الدعوية إلى الرئيس محمود عباس، بصفته ولي الأمر الواجب طاعته، تتبني في بعدها جفاءً وانتقاداً لحركة حماس، التي انقلبت على ولي الأمر، بما يخالف الشرع الإسلامي حسب رأيهم⁽³²⁾.
- يقول الشيخ عدنان مَيِّط؛ رئيس مجلس شورى المجاهدين سابقاً، كانت بداياتي مع حركة حماس، ومع كتائب القسام، ثم مع المجاهدين، ثم اليوم أنا مع جماعة التبليغ، لكنَّ النقطة الفاصلة في عملية التحول

(29) أحمد يوسف، حماس والحركة السلفية في قطاع غزة: آفاق الرؤية والعمل المشترك، مرجع سبق ذكره، ص 38.

(30) مقابلة عبر الهاتف، بتاريخ 18-11-2015م، مع القيادي السلفي أبي حمزة أسعد.

(31) بشير موسى نافع، وآخرون، الظاهرة السلفية: التعددية التنظيمية والسياسات، مرجع سبق ذكره، ص 162.

(32) المرجع السابق، ص 161.

بالنسبة لي كانت "مشاركة حماس في الانتخابات التشريعية"، حيث إننا قد تربينا في مدرسة الإخوان المسلمين على (حُرمة الانتخابات)⁽³³⁾.

ويري الباحث فيما جاء على لسان الشيخ عدنان ميط بأنه "قد تربي في مدرسة الإخوان المسلمين على حرمة الانتخابات"؛ بأن هذا الكلام مخالف تماماً لمبادئ حركة الإخوان المسلمين، فالإخوان المسلمين لا تعارض الدخول في العملية السياسية، وأن هذه المعرفة لدي الشيخ ميط قد تشير إلى أنه كان عنصراً في حماس وأخذ بآراء بعض العناصر غير المطلعة على مبادئ الإخوان المسلمين. وإنما تردد موقف الحركة الرفض للانتخابات عام 1996م. عندما رفضت حماس المشاركة فيها.

● إن «حماس» لم تتصرف في السلطة على نحو يوحى بأنها تحمل مشروع إقامة خلافة، فلم تصدر قائمة المحظورات التقليدية مثل منع الأحزاب العلمانية واليسارية، ولم تقم بتطبيق الشريعة الإسلامية، ولم تفرض الحجاب بالقوة على الفلسطينيات، ولم تغلق محال الترفيه التي يؤمها غير المنتمين لفكرها الإسلامي. ورأى أن هذه السلوكيات تتفق مع إعلان «حماس» أنها حركة معتدلة، وذات منهج مختلف عن التنظيمات السلفية. وقد خلا الأداء الميداني والسلوك الاجتماعي لحركة حماس وحكومتها من أية إشارة للدولة الإسلامية، أو تطبيق للشريعة. وهذا يختلف مع تطلعات السلفية الجهادية.

كما أن السلفيين انتقدوا حركة حماس، لأنها لم تعلن قيام الإمارة الإسلامية بعد السيطرة على قطاع غزة، ما يعتبر تقصيراً في إكمال أداء الواجب الشرعي الذي كلف الله به المجاهدين. وأكد أن البدايات الأولى للخلاف الفكري والفقهية بين «حماس» والسلفيين، فيما يتعلق بمسألة إقامة الدولة الإسلامية وتطبيق الشريعة وصل إلى حد وصف فيه «أيمن الظواهري» حركة حماس، بأنها لحقت بركب السادات. أما أبرز انتقادات السلفيين الجهاديين في فلسطين لسلوك «حماس» السياسي هو في انخراطها بالعملية السياسية في ظل دستور «وطني علماني»، وعلى أساس اتفاقيات أوسلو، التي «تخلت عن أكثر من ثلاثة أرباع أرض فلسطين لليهود»⁽³⁴⁾.

علما أن حركة حماس قد عارضت اتفاقية أوسلو التي وقعت ما بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل عام 1993م؛ حيث رأت أن بعض أبناء القضية الفلسطينية خانوها، وخانوا نضال الشعب الفلسطيني وتضحياته. واعتبرت حماس، أن القبول باتفاق "غزة - أريحا أولاً"، هو قبول بتصريح بلفور البريطاني، وقد انطلق موقف حركة حماس الرفض للاتفاق، من المحاور الآتية:

- إن القبول باتفاق غزة - أريحا أولاً، يعني القبول بشرعية الوجود الإسرائيلي في فلسطين المحتلة.
- لأنه يهدف إلى القضاء على الانتفاضة، وإلغاء موضوع القدس على الأقل خلال المرحلة الانتقالية

(33) أحمد يوسف، حماس والحركة السلفية في قطاع غزة: آفاق الرؤية والعمل المشترك، مرجع سبق ذكره، ص 34.

(34) مقابلة عبر الهاتف، مع الدكتور خالد شعبان، مدير مركز التخطيط التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية - غزة - بتاريخ 6-11-2015م.

- إن الوثيقة التي حملت الرؤية الفلسطينية للاتفاق، لم تطالب حتى بالانسحاب من شبر واحد من الأراضي المحتلة، مكتفية ببدء تطبيق تجربة الحكم الذاتي ولفترة تجريبية، وهو ما يعني عدم التطرق إلى موضوع السيادة الجغرافية، بما يطلق يد إسرائيل لتستولي على المزيد من الأراضي⁽³⁵⁾.

المبحث الثاني: أسباب تصاعد الأزمة

الأسباب المباشرة لتصاعد الأزمة بين السلفيين وحركة حماس في قطاع غزة ترجع إلى عدة أسباب وهي:

أولاً: أسباب الأزمة من منظور حركة حماس

- 1- اختطاف المتضامن الإيطالي فيتوريو أريغوني وقتله في أغسطس 2008م، على يد مجموعة موصوفة "بالسلفية" في قطاع غزة، علماً أن المتضامن الإيطالي كان قادماً لغزة مع وفود كسر الحصار المفروض على غزة، مما أوقع حماس في حرج شديد لسببين الأول أن حركة حماس وبصفتها الحاكمة هي المسؤولة عن توفير الحماية لكافة الأجانب القادمين، أما السبب الثاني لرفض أسرته القتل إعادة جثمانه إلى بلاده عبر إسرائيل لأن ابنها كان يرفض التعامل مع دولة الاحتلال، لتوقع الفلسطينيين عموماً وحماس بالتحديد في حرج شديد.
- 2- دعا أبو حفص المقدسي أمير جماعة "جيش الأمة" السلفية في غزة إلى الجهاد في مصر من أجل تخليصها من حكم من أطلق عليه اسم "فرعون مصر الجديد"، في إشارة إلى وزير الدفاع المصري عبد الفتاح السيسي، وذلك من أجل "وقف إراقة الدماء وتحكيم شرع الله".
- 3- شهدت مدينة غزة فجر 19 يوليو 2015م، تفجيرات متتالية استهدفت 5 مركبات تعود إلى كوادرات كبيرة في حماس والجهاد الإسلامي، ووضعت أمام التفجيرات شعارات تعود إلى تنظيم الدولة.
- 4- توعد تنظيم الدولة الإسلامية المعروف باسم "داعش"، حركة المقاومة الإسلامية "حماس"، بـ "القتل، والتنكيل"، موجهاً رسالةً إلى أنصاره في غزة بأن "فتح غزة، وطرد المرتدين منها قد اقترب".
- وفي إصدار جديد حمل عنوان "رسالة إلى أهلنا في بيت المقدس"، تحدث عدد من عناصر التنظيم الذين قدموا إلى مدينة حلب السورية من قطاع غزة، قائلين إنهم يُحكمون بالشرعية، بعكس غزة التي يحكمها "طواغيت حماس بالديمقراطية"، وفق قولهم.
- ووصف العناصر في الإصدار الرسمي الصادر عن تنظيم الدولة، حركة "حماس"، بالردة، قائلين إنها تعمل فقط لإرضاء أمريكا، وقطر، وإيران، وتركيا، وأضاف أحدهم: "لا تغرّمك تلك الصواريخ التي تطلقها حماس على اليهود، فهي مثل صواريخ حزب الله"⁽³⁶⁾.
- 5- وجود بعض المؤشرات تفيد أن تنظيم (داعش ولاية سيناء) الذي يعرف باسم (أنصار بيت المقدس)، يوجد بداخله عناصر فلسطينية سلفية وبدوية من أهل سيناء، وهذا يرجع إلى النشأة الأم لهذا التنظيم، التي بدأت عام 2004م، وكان الاسم المعروف به هو (التوحيد والجهاد)، والذي إليه تنسب أحداث إرهاب (طابا - ذهب - شرم الشيخ) في أعوام 2004 - 2005م، والذي كان يقوده الفلسطيني السلفي (هشام السعدني) الشهير بـ (أبي

(35) أحمد ثابت، وآخرون، "الدور الإقليمي لمصر في الشرق الأوسط"، أعمال الندوة التي عقدت بالإسكندرية، تحرير: عبد المنعم المشاط، (الفترة من 15-17 ديسمبر 1994).

(36) مقابلة عبر الهاتف، مع العميد محمد أبو زيد، نائب مدير شرطة قطاع غزة. بتاريخ 11-11-2015م.

الوليد المقدسي)، وهو الرجل الذي تتلمذ على يد أبي إسحاق الحويني، علماً أن السعدني قد قتل في 2011م، في غزة بعد قصفه من الطيران الصهيوني⁽³⁷⁾.

ثانياً: أسباب الأزمة من منظور السلفيين

- 1- تعذيب المجاهدين السلفيين على يد الأجهزة الأمنية بغزة التابعة لحماس؛ يقول أحد قياديي الجناح العسكري للسلفية الجهادية في فلسطين، لقد تعرضت للضرب والشتائم والاتهامات التي تمس أخلاقي وكرامتي، وكان الذي يضربني يسخر مني بطريقة يصعب على المرء تخيلها، لقد قلت لهم وأنا أتوجع تحت سياطهم: لا تضرب. فإن الضرب لا يترك أثراً على الجسد، بل أثره في القلب، لا تجبرني يا أخي أن أدعو عليك. وللعلم أنا اليوم مهتدٌ بالاغتيال من قبل العدو الصهيوني⁽³⁸⁾.
- 2- الأحداث المأساوية الدامية في أغسطس 2009م في مسجد ابن تيمية بمدينة رفح، وذلك على إثر إعلان رئيس جماعة "جند أنصار الله"؛ الشيخ د. عبد اللطيف موسي عن إمارته الإسلامية. مما أدى إلى مقتل عبد اللطيف موسي، ورفاقه، البالغ عددهم عشرون رجلاً⁽³⁹⁾.
- 3- وجود "حركة الصابرين"، المقربة من إيران، لانتهاكها بنشر الفكر الشيعي بين أوساط سكان غزة⁽⁴⁰⁾.

ثالثاً: لماذا تعد السلفية الجهادية خطراً على حماس

لم تبلغ المجموعات السلفية الجهادية في غزة مرحلة تهديد «حماس» ونفوذها في القطاع بعد، لكنها باتت تثير القلق، خصوصاً بعد أن شهد قطاع غزة انفجار خمس سيارات لقيادات من حركة حماس في توقيت واحد، إضافة إلى بث التنظيم تسجيل مصور يتوعد حركة «حماس» وقادتها بأن يكون مصيرهم في القطاع مشابهاً لما حصل لعناصر أكناف بيت المقدس (المحسوبين على الحركة) في مخيم اليرموك في نيسان (أبريل) 2015م. لا شك أن مثل هذه التهديدات لا تتسم بالواقعية، لأن «حماس» تحكم قبضتها الأمنية على مفاصل القطاع، لكنها قد تثير بعض المخاوف، وشيئاً من الإرباك وذلك لعدة أسباب:

- 1- تدرك حماس جيداً أن عناصر داعش لا يؤمن جانبهم، فهم يعتمدون في المرحلة الأولى التي ينشئون فيها خلاياهم ومجموعاتهم على أمرين: المهادنة الظاهرية للسلطة الحاكمة أو للأحزاب الموجودة وخصوصاً الإسلامية، حتى تقوى شوكتهم، وتصبح عصية على الاستئصال والكسر؛ والثاني، توجيه ضربات محددة بهدف إثارة الفوضى، وإضعاف السلطة الحاكمة، وهو ما يطلق عليه في أدبياتهم مرحلة الشوكة والنكابة.
- 2- تحكم عناصر «داعش» أيديولوجية خطيرة جداً، وأخطر ما فيها هو الاعتقاد السائد عندهم بأن قتال العدو القريب مقدم على قتال العدو البعيد. وبما أن عناصر «حماس» في نظريهم كفرية ومرتدون لأنهم لا يحكمون شرع الله، لذا فإن المواجهة معهم لها الأولوية على قتال الاحتلال الإسرائيلي.

(37) رفعت سيد أحمد، الأخرين أعمالاً: داعش ولاية سيناء. القصة الكاملة، (القاهرة: مركز يافا للدراسات والبحوث، 2015)، ص 278.

(38) أحمد يوسف، حماس والحركة السلفية في قطاع غزة: آفاق الرؤية والعمل المشترك، مرجع سبق ذكره، ص 34.

(39) المرجع السابق، ص 29.

(40) مقابلة عبر الهاتف، بتاريخ 18-11-2015م، مع القيادي السلفي (أبو حمزة أسعد).

3- تنامي نفوذ «داعش» في غزة، يأتي في وقت تسعى فيه «حماس» إلى إعادة ترميم ما دمرته الحرب. وبالتالي، فإن العمليات التي ينفذها عناصر السلفية الجهادية ضد إسرائيل من إطلاق صواريخ أو استهداف جنود، تخرج «حماس» أمام المجتمع الدولي، وتعطي الذريعة لإسرائيل لتوجيه ضربات للقطاع، وربما جر غزة مجدداً إلى حرب لا يريدونها. أحد الآن (41).

4- معظم عناصر «داعش» من أبناء القطاع، وجزء من النسيج الاجتماعي، ويعرفون شوارع غزة وأزقتها، وليس من المستغرب أن يكونوا على دراية ببعض مخازن السلاح، والأنفاق، ومرابض إطلاق الصواريخ.

5- طبيعة التركيبة العائلية في غزة، تدفعها للانحياز إلى أفرادها، وحمائهم إذا ما تعرضوا لأي ملاحقة أو تهديد. وبالتالي فإن أي مواجهة مع أحد عناصر «داعش» قد تمتد إلى صراع مع العائلة، كما حصل مثلاً في حالة ممتاز دغمش، الذي اختلف مع «حماس» بعد أن كان محسوباً عليها، وبدأ بتشكيل حالة عسكرية، خارج نطاق الأطر المعترف بها. وحين تدخلت الأجهزة الأمنية التابعة لـ «حماس» لضرب مجموعة دغمش، أزرته عائلته ورفضت التخلي عنه، مما اضطر «حماس» إلى إبرام اتفاق مع عائلته.

6- قد يسعى عناصر «داعش» إلى زعزعة الاستقرار في شكل مستمر داخل القطاع، لضرب الحاضنة الشعبية لـ «حماس»، وتنفيذاً لبعض الأجندات الخارجية المخترقة للتنظيم.

7- الدعاية الداعشية داخل القطاع لا تفوت فرصة في التحريض على «حماس» باعتبارها منظمة براغماتية، تهدان الاحتلال، وتبرم مصالحات مع الفصائل الفلسطينية العلمانية، ولا تسعى إلى تطبيق شرع الله (من قتل المرتدين، وإقامة الحدود، وفرض الجزية على المسيحيين). وقد باتت «حماس» تخشى من تأثير بعض عناصرها بهذا الخطاب، في ظل الثوران الداعشي الذي تشهده المنطقة. حيث سجلت حالات انشقاق عديدة خلال الأشهر الماضية، وإن كانت لا تزال محدودة.

8- تنامي قوة الجماعات المتطرفة في سيناء، ومبايعتها لأبي بكر البغدادي، قد يدفعها للتمدد إلى غزة.

أمام هذا المشهد، تحاول «حماس» احتواء خطر «داعش». من خلال أمرين رئيسيين: الأول، الحوار الفكري المكثف معهم من خلال العلماء والمشايخ. بيد أن المعضلة التي يشتكي منها الدعاة هي صعوبة إقناع هؤلاء الشبان، لأن أيولوجيتهم تقوم على احتكار الحقيقة، واعتبار أنفسهم هم فقط الفرقة الناجية، فهم أصلاً لا يثقون بالعلماء ولا يعترفون بهم، ويعتبرونهم مرتدين وعلى ضلال. أما الطريق الآخر الذي تسلكه السلطة في غزة للحد من خطورتهم، فهو المتابعة الأمنية، حيث تعمل أجهزة المخابرات داخل القطاع على اعتقال كل من تشي تحركاته بأنه بات يشكل تهديداً (42).

(41) مقابلة عبر الهاتف، بتاريخ 11-11-2015م، مع العميد محمد أبو زيد، نائب مدير شرطة قطاع غزة.

(42) مقابلة عبر الهاتف، بتاريخ 21-11-2015م، مع الدكتور سامي أحمد، أستاذ العلوم السياسية بجامعة الأزهر.

الفصل الثالث

مستقبل العلاقات بين حركة حماس والحركة السلفية

السيناريو الأول: التوصل إلى تهدئة أو اتفاق بين حركة حماس ودولة الاحتلال

تناولت تقارير عديدة، في الآونة الأخيرة، عن وجود اتصالات بين مبعوثين دوليين، بتفويض من دولة الاحتلال، ومسؤولين في حركة المقاومة الإسلامية "حماس"، بخصوص إمكانية التوصل إلى هدنة محدودة زمنياً بين دولة الاحتلال وفصائل المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة، مقابل رفع الحصار المستمر على القطاع منذ أكثر من ثمانية أعوام. ومما يعزز مصداقية هذه الأخبار تصريحات أخيرة أدلى بها كلٌّ من السيدان: إسماعيل هنية، وخالد مشعل. وما لم تحصل مفاجآت، فمن غير المستبعد أن يتم التوصل إلى تهدئة لمدة من ثلاث إلى خمس سنوات على الأقل، وذلك في ضوء رغبة كل من "دولة الاحتلال" وحماس في إتمامها⁽⁴³⁾.

لماذا تريد دولة الاحتلال هذه الهدنة؟

بعيداً عن مصطلحات النصر والهزيمة بين الفلسطينيين ودولة الاحتلال، لأن المقارنة ليست علمية ولا موضوعية، يمكن القول إن خلاصة حرب غزة التي استمرت 51 يوماً هي أن: "إسرائيل لم تنتصر، وغزة لم تنكسر"، أمام الاعتبارات التالية:

1- الخسائر التي مُنيت بها المؤسسة العسكرية الإسرائيلية، من انتكاسات ميدانية وخسائر عملياتية، أعلنتها في ذكرى الحرب الأولى؛ فقد أسفرت حرب غزة الثالثة التي أسمتها دولة الاحتلال "الجرف الصامد"، عن مقتل 70 صهيونياً، منهم 65 ضابطاً وجندياً سقطوا أثناء المعارك مع المقاومة على حدود غزة، عندما حاولت ما تسمي قوات النخبة الدخول براً إلى القطاع. وأصيب ما لا يقل عن 2300 صهيوني بجراح، أكثر من نصفهم من الجنود. هذا بالإضافة إلى فشل القبة الحديدية في اعتراض 3792 صاروخاً، أي أن مستوى أداء القبة لم يتجاوز 16%. وأخيراً التكاليف العسكرية الباهظة، فقد تجاوزت تكلفة الحرب الإجمالية على غزة 4 مليارات دولار في الجانب العسكري، و7 مليارات دولار في الجانب المدني.

2- الإشارات التي تطلقها حماس عن وجود جنود صهيانية أسرى لديها، أحياء كانوا أم أمواتاً، ولذا قد تكون دولة الاحتلال ترغب ببدء مفاوضات لتحديد مصيرهم، والإفراج عنهم أو استلام رفاتهم.

3- علم إسرائيل المُسبق أن إضعاف حماس اليوم سوف يعني تمددًا لـ "داعش" وتنظيمات أخرى صغيرة، لا تملك حساً بالمسؤولية والعقلانية⁽⁴⁴⁾.

(43) أحاديث الهدنة بين حماس وإسرائيل، زيارة بتاريخ 29-11-2015م، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. الرابط.

(44) محمد أبو سعدة، تقدير موقف بعنوان: غزة والضفة.. خيارات منطقية ورؤية مستقبلية، نشر بتاريخ 25-8-2015م، موقع دنيا المواطن. الرابط.

لماذا تسعى حماس للهدنة؟

تسعى حماس إلى التوصل إلى هدنة طويلة نسبياً مع دولة الاحتلال، إلا أنّ ذلك لا يعني أنّها تطلبها بأيّ ثمن؛ فالحركة ما زالت تصرّ على رفض الاعتراف بما يسمى دولة إسرائيل، وهي لا تقبل نزع سلاحها؛ إلا أنّ حركة حماس تبحث عن هدنة للأسباب الآتية:

1- رغم الأداء العسكري غير المسبوق لحماس في المواجهة العسكرية الأخيرة، فإن الحركة لم تتمكن من ترجمة الإنجاز العسكري إلى إنجاز سياسي يرفع الحصار عن القطاع ويعيد الإعمار ويوفر الأموال اللازمة لإعاشة عشرات الآلاف من الموظفين.

2- تعيش حماس مأزقاً كبيراً في إدارة قطاع غزة المحاصر، منذ أكثر من ثمانية أعوام. ويضاف إلى الحصار ثلاثة اعتداءات إسرائيلية كبرى أعوام 2008/2009م، 2012م، 2014م. ولذلك، لا تريد حماس أن تُجرّ إلى معركة أخرى مدمرة مع دولة الاحتلال.

3- أنّ "المصالحة الوطنية" الفلسطينية التي أمّلتها حماس وجسّدها "اتفاق الشاطئ" في إبريل/نيسان 2014م، ونتج عنه "حكومة توافق وطني"، لم تطبق عملياً، ولم تأت بالفرج لقطاع غزة، ولم ترفع الحصار عنه في ظل استمرار الخلافات بين السلطة الفلسطينية وحركة حماس.

4- تخشى سلطة حماس في غزة تزايد النقمة الشعبية الناجمة عن الحرمان والحصار وانسداد الأفق، فالأوضاع الإنسانية في قطاع غزة تتدهور بشكل متسارع وغير مسبوق، على كافة الأصعدة.

5- التغييرات الإقليمية المتسارعة، التي تدفع القادة السياسيين في حركة حماس إلى التريث واستغلال الوقت من أجل إعادة ترتيب الأوراق مرة أخرى.

تداعيات الهدنة على مستقبل العلاقة بين حركة حماس والسلفية الجهادية في قطاع غزة

إن التداعيات على مستوى الجوانب الحياتية في قطاع غزة ستكون إيجابية، وإن كانت لفترة زمنية محدودة تشبه إلى حد قريب بدايات دخول السلطة الفلسطينية عام 1994م، إلا أنّ حركة حماس ستعمل على تجفيف منابع وأوكر السلفيين الجهاديين وذلك لعدة أسباب:

1- رغبة السلفية الجهادية في قطاع غزة على مزاحمة حماس في غزة؛ كما تمثل السلفية الجهادية في غزة تهديداً لمشروعها "الإخواني".

2- من المرجح أن تقوم فصائل السلفية الجهادية بإطلاق صواريخ باتجاه الأرض المحتلة مما يعطل اتفاق الهدنة، وبالتالي انجرار غزة إلى حرب.

3- رغبة حماس في فتح آفاق للتواصل مع العالم الخارجي، باعتبارها تنظيمًا إسلاميًا معتدلاً يمكن التعاون معه والتوصل إلى تفاهات، ولكي تثبت حركة حماس نفسها لاعباً أساسياً على الساحة الفلسطينية، وأنها معادلة صعبة لا يمكن تجاوزها. وكذلك محاولة حركة حماس في أن تبعد عن كاهلها وعن المواطنين الفلسطينيين أعباء الضغط المصري؛ الذي دائماً ما يوجه التهم لحركة حماس وقياداتها في قطاع غزة بأنها على تعاون مع السلفيين الجهاديين في سيناء.

السيناريو الثاني: اتفاق بين حركة حماس والسلفيين

شهدت مدينة غزة في 4 تموز/يوليو 2015م، إعلان مبادرة للمصالحة بين حماس والسلفيين، قدّمها الشيخ عصام صالح، وهو أحد الشخصيات السلفية البارزة في غزة، عبر مؤتمر صحافي عقده في ساحة الجندي المجهول وسط مدينة غزة. وقد صدرت مبادرة المصالحة ما بين حماس والسلفيين بعد 3 أيام فقط، من توجيه تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" تهديدات إلى حماس في 30 حزيران/يونيو 2015م، مهدداً بتحويل غزة إلى بركة من الدماء لأنه يري حركة حماس لم تطبق الشريعة الإسلامية في غزة؛ وأنها تسعى فقط لإرضاء كل من أميركا وإيران⁽⁴⁵⁾.

واهم ما جاء في المبادرة:

- 1- ضرورة منع التفجيرات الداخلية في غزة واستنكارها، تلك التي لم يتبناها أحد من الحركات السلفية، أو الفصائل الوطنية المختلفة مع حركة حماس كحركة فتح.
- 2- منع التعذيب في سجون أجهزة الأمن في غزة، إلا ضد المتورّطين بالتعاون مع إسرائيل، وعدم مهاجمة حماس لبيوت السلفيين. كما يجب على حماس إطلاق سراح المعتقلين السلفيين، وإعادة أموالهم وأسلحتهم إليهم.
- 3- رفض المبادرة للتهديدات الموجهة ضد حماس، من أي جهة كانت، وطالبت بالتنسيق معها في المهام الجهادية ضد إسرائيل، وإتاحة التدريب العسكري للسلفيين في غزة، وتوفير الإمكانيات اللازمة لذلك⁽⁴⁶⁾.

دوافع السلفيين وحماس في التوجه إلى مصالحة:

أولاً: اتهام إسرائيل والسلطة الفلسطينية بأن غزة باتت حاضنة لتنظيم الدولة، لاسيما بعد تفجيرات قامت بها ولاية سيناء استهدفت الجيش المصري في 1 تموز/يوليو 2015م، في سيناء.

ثانياً: صدور قرار من حكومة حماس في غزة يوم 6 تموز/يوليو 2015م، بحظر لـ "حركة الصابرين" التي يتزعمها هشام سالم، والمقرّبة من إيران، لآتهامها بنشر الفكر الشيعي بين أوساط سكان غزة، دون توضيح طبيعة طريقة الحظر. وقد رحبت الأوساط السلفية في غزة بقرار الحظر، على لسان الداعية السلفي البارز الشيخ مجدي المغربي يوم 7 يوليو 2015م.

ثالثاً: التقارب بين حركة حماس والمملكة العربية السعودية في الآونة الأخيرة، في مقابل اتساع الفجوة بين النظام الإيراني وحماس، نتيجة لاختلاف في المواقف والأزمات التي تشهدها المنطقة، وتحديدًا في سوريا واليمن. وهذا ما يرضي أطرافاً من السلفيين الموجودين في غزة، أولئك الذين يعدون أنفسهم بأنهم قريبون من السعودية. إلا أن ما قد يدمر هذا التقارب هو وجود بعض المؤشرات التي تُرجح إحياء التقارب بين حماس وإيران؛ كإدانة مقتل سمير القنطار من قبل حماس بالرغم من دوره الطائفي.

رابعاً: وجود رغبة لدى الطرفين "حماس والسلفيين" بضرورة ضبط الوضع الأمني في القطاع، ووقف ظاهرة التفجيرات الأخيرة⁽⁴⁷⁾.

(45) موقع المنيتور، حماس تفضّل الصفقة بدل الضربة مع السلفيين. عدنان أبو عامر 23 يوليو 2015، زيارة بتاريخ 20-11-2015م، الرابط.

(46) أحمد يوسف، حماس والحركة السلفية في قطاع غزة: آفاق الرؤية والعمل المشترك، مرجع سبق ذكره، ص 77.

(47) مقابلة عبر الهاتف، بتاريخ 23-11-2015م، مع الدكتور أسامة أبو نحل، الأستاذ المحاضر في جامعة الأزهر بغزة.

موقف حماس من المبادرة:

على الرغم من أن حماس لم تعلن موقفها من مبادرة المصالحة مع السلفيين، لكنّها فيما يبدو تفضل الذهاب إلى خيار الصفقة معهم بدل الضربة، والتسوية بدل المواجهة، لأنها تعلم أنّ الصدام مع السلفيين يعني مزيداً من تأزيم الوضع الأمني المتأزم أصلاً في غزة، كما أن حماس لا تريد أن تضع على نفسها أعباء إضافية داخل القطاع المحاصر.

ويمكن اختصار موقف حماس من المبادرة بوجود اتجاهين:

الاتجاه الأول: يشير إلى توجه جدي في الاتجاه التصالحي مع السلفيين، وقد تمثل في الإفراج عن بعض السلفيين خلال إجازة عيد الفطر الماضي. وترجع رغبة حماس في مصالحة السلفيين في غزة على أساس أن معظم أبناء السلفيين الحاليين هم في الأساس من أبنائها، وقد خرجوا منها بعد خلافهم معها حول قضايا فكرية إيديولوجية مرتبطة بدخولها في الانتخابات التشريعية الفلسطينية عام 2006م⁽⁴⁸⁾.

الاتجاه الثاني: هناك بعض قيادات حركة حماس تتحفظ على عقد مصالحة مع السلفيين، خشية أن تمنحهم المصالحة موطئ قدم في غزة، تدفعهم إلى إحداث قلاقل أمنية فيها، أو استقطاب عناصر جديدة إلى مجموعاتهم، وربما تعطيهم بعض الوقت لتنظيم صفوفهم، والاستعداد لمواجهة حماس⁽⁴⁹⁾.

مصالحة حماس من إتمام مصالحة مع السلفيين:

يري الباحث أن هذا السيناريو المتمثل في إتمام مصالحة مع السلفيين هو الأفضل لحركة حماس، وسيصبح في صالحها، وذلك للعوامل الآتية:

1- تواجه حماس عدة جهات أمنية وعسكرية في آن واحد: السلطة الفلسطينية ومصر والاحتلال، وهي ليست في وضع مريح أمنياً لتضيف جبهة أخرى من داخل البيت في غزة، وهذا قد يدفعها إلى البحث عن خيار المصالحة مع السلفيين لا مواجهتهم.

2- تدرك حماس أن المنطقة مقدمة على تطورات عسكرية ملتبهة في سوريا والعراق، وربما في لبنان وسيناء، وسيكون اللاعب الأبرز في هذه المواجهات هو التنظيمات السلفية بمسمياتها المختلفة: تنظيم الدولة، وجبهة النصرة، وجيش الفتح الذي يضم عدداً من التشكيلات المسلحة الإسلامية، وهي جميعاً ذات جذور سلفية، تقترب كثيراً مما يعتنقه السلفيون في غزة. وهو ما قد يدفع حماس إلى التعامل بحذر شديد مع الظاهرة الجهادية في غزة لئلا تظهر جزءاً من التحالف الإقليمي والدولي ضد هذه التنظيمات، مما قد يفقدها بعضاً من التأييد في أوساط الحركات الإسلامية.

3- من خلال المصالحة سيكون بمقدور حركة حماس أن تحكم قبضتها الأمنية على قطاع غزة، بعد نجاحها في السيطرة على السلفيين، إضافة إلى قدرتها على ضبط الساحة الميدانية في مواجهة العدو، انطلاقاً من رؤيتها في اختيار توقيت التصعيد والتهادن مع دولة الاحتلال؛ وبالتالي من الممكن أن يشهد قطاع غزة فترات هدوء، وفترات عنف.

(48) مقابلة عبر الهاتف، بتاريخ 27-11-2015م، مع الدكتور أحمد يوسف، المستشار السياسي لرئيس الوزراء السابق إسماعيل هنية.

(49) مقابلة عبر الهاتف، مع العميد، محمد أبو زايد، مرجع سبق ذكره.

السيناريو الثالث: تعرض حماس لحرب شرسة تقضي على قوتها في قطاع غزة

يشير بعض الكتاب إلى وجود حلقة غامضة في تاريخ وسلوكيات السلفيين الجهاديين في كل من سوريا والعراق وسيناء؛ فيشير بعضهم إلى أن الشباب المسلح في السلفية الجهادية هم شباب مضلل ويتم توجيههم من قبل بعض المخابرات الدولية، كالمخابرات الأمريكية مثلاً، بطرق مباشرة أو غير مباشرة، في حين يذهب بعض المختصين إلى ما هو أبعد من خلال ربط قيادات داعش بأجندة أمريكية صهيونية في المنطقة، معللين ذلك بالممارسات التي تتبعها داعش على الأرض، من خلال استهداف مقدرات الدول الإسلامية وآثارها. في حين لم تتعرض إسرائيل إلى أي هجمات على الرغم من قصر المسافة التي تفصل بين داعش في سيناء وحدود إسرائيل؛ وكذلك بين داعش في سوريا وحدود إسرائيل هو بضع مئات من الأمتار فقط، وعليه فإن استطاع الموساد الإسرائيلي أو المخابرات الأمريكية من اختراق السلفية الجهادية بغزة، فمن المرجح أن تسعى دولة الاحتلال إلى تجهيز السلفيين بديلاً عن حركة حماس لغزة⁽⁵⁰⁾.

وهنا يبقى السؤال: لماذا ترغب إسرائيل في القضاء على حماس؟

أولاً: الأسباب المباشرة:

- 1- شعور إسرائيل بأن حماس باتت تشكل عقبة في طريق كل المشاريع التي تستهدف تصفية القضية الفلسطينية.
- 2- محو آثار حربي 2012 م، و2014م، بعد أن استطاعت المقاومة الفلسطينية ضرب العمق الإسرائيلي، وبالتحديد مدينتي القدس وتل أبيب.
- 3- أن التغييرات الإقليمية الجارية تصب في صالحها، خصوصاً بعد عزل الرئيس محمد مرسي، وقدم عبد الفتاح السيسي، وارتفاع نبرة العداء للسلطة السياسية بمصر تجاه حركة حماس.
- 4- محاولة الكيان الإسرائيلي إعادة ترميم قوة الردع التي تزعزعت في الفترة السابقة إثر قوة المقاومة الآخذة بالصعود⁽⁵¹⁾.

ثانياً: الأسباب غير المباشرة

تتمثل في الحلم الصهيوني والمعروف بـ "البدائل الإقليمية لفكرة دولتين لشعبين" أو كما يعرف باسم "مشروع اللواء غيوراً ايلاند" مستشار الأمن القومي السابق. وينص المشروع على ما يلي:

أولاً: تتنازل مصر عن 720 كيلومتراً مربعاً من أراضي سيناء لصالح الدولة الفلسطينية المقترحة. وهذه الأراضي عبارة عن مستطيل، ضلعه الأول 24 كيلومتراً، ويمتد بطول ساحل البحر المتوسط من مدينة رفح غرباً، وحتى حدود مدينة العريش، أما الضلع الثاني فيصل طوله إلى 30 كيلومتراً من غرب "كرم أبو سالم"، ويمتد جنوباً بموازاة الحدود المصرية الإسرائيلية. وهذه الأراضي (720 كيلومتراً مربعاً) التي سيتم ضمها إلى غزة تضاعف مساحة القطاع مرتين، حيث إن مساحته الحالية تبلغ 365 كيلومتراً مربعاً فقط.

(50) إعداد مركز أبحاث المستقبل، الحركات الإسلامية والحركات السلفية، مرجع سبق ذكره، ص 60.

(51) محمد أبو سعدة، إيران وحماس والربيع العربي، (غزة: بيت الحكمة، 2014)، ص 114.

ثانياً: في مقابل الأراضي التي ستتنازل عنها مصر للفلسطينيين، تحصل القاهرة على أراضٍ من إسرائيل جنوب غربي النقب (منطقة وادي فيران). المنطقة التي ستنتقلها إسرائيل لمصر يمكن أن تصل إلى 720 كيلومتراً مربعاً (أو أقل قليلاً)، لكنها تتضاءل في مقابل كل المميزات الاقتصادية والأمنية والدولية التي ستحصل عليها القاهرة لاحقاً⁽⁵²⁾.

وهنا يري الباحث أن تنظيم الدول الإسلامية في سيناء يتواجد بالفعل في المناطق التي وضعت ضمن خطة غيورا ايلاند، وهذا يعني في حال تم اختراق السلفيين الجهاديين في سيناء واحتوائهم إلى جانب اختراق السلفيين الجهاديين في غزة واحتوائهم سوف يسمح لهم بالتواصل بدون عائق؛ بما يمكنهم من تأسيس دولة واحدة لهم، وهذه باختصار الدولة الفلسطينية التي تسعى إليها إسرائيل، وفقاً لمشروع غيورا ايلاند، وهذه -بكل تأكيد- ترفضها حركة حماس الحاكمة في قطاع غزة، ولهذا ستسعى إسرائيل إلى الخلاص من حماس.

ومما يعزز هذه الخطة هو وجود عبد الفتاح السيسي، الذي يبذل جهوداً من أجل ترسيخ حكمه وتثبيت أركانه بعد تنفيذه الانقلاب على الرئيس محمد مرسي، وذلك من خلال إرضاء إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية والغرب؛ وهذا قد يدفع السيسي إلى قبول مشروع غيورا ايلاند.

غير أن المتابع للممارسات المصرية في سيناء منذ قدوم السيسي يلاحظ أن كافة الإجراءات التي تجري على الأرض تسير وفقاً للمشروع، ومما يدل على ذلك هو قيام السلطات المصرية في عهد السيسي بتجريف مساحات شاسعة لأراضي وبيوت سكان مدينة رفح المصرية والشيخ زويد، تلك التي كانت مأهولة بالسكان، مع ترحيلهم إلى مناطق خارج الحدود المرسومة في خطة غيورا ايلاند.

(52) موقع وطن للأبناء، ماهي تفاصيل مشروع "غيورا ايلاند" الإسرائيلي لدولة فلسطينية في سيناء؟!، زيارة بتاريخ 5-12-2015م. الرابط: <http://www.wattan.tv/news/140125.html>

الخاتمة

على الرغم من ترجيح سيناريو استمرار الوضع الراهن فيما يتعلق بحضور السلفية الجهادية في الساحة الفلسطينية، فينبغي التأكيد على أنه لا توجد دول أو ساحة محصنة ضد اختراق الفكر المتشدد، في ظل حضور الجماعات المتشددة في الإقليم، وتنامي ظاهرة العنف واستمرار حالة الفوضى في المنطقة؛ الأمر الذي يستدعي من الفاعلين وأصحاب القرار في الساحة الفلسطينية التنبه واتخاذ الإجراءات المناسبة التي من شأنها أن تجنب الساحة الفلسطينية تكرار سيناريو ما حصل في ساحات عربية أخرى. خصوصاً أن للساحة الفلسطينية خصوصية مغايرة، لوجود عدو لا يكل ولا يمل في سعيه لتبديد قوة الفلسطينيين وإضعاف عزيمتهم.

النتائج:

- علاقة حركة المقاومة الإسلامية "حماس" - أحد فروع جماعة الإخوان المسلمين العالمية- بالتيارات السلفية الفلسطينية، تحمل في ثناياها خلافاً ما بين الفكر الأممي الذي لا يعترف بالواقع؛ وبين فكر أممي يولي الواقع أهمية كبيرة، ويجعله في قلب أولوياته.
- أن حركة حماس تنطلق من منطلقات الإسلام الصحيح، وتؤمن بفكرة الوسطية في الدعوة والقتال، وهي حركة تحرر وطني ذات خلفية إسلامية.
- أن حماس لا ترى في التيار السلفي - أنشطة وأفكاراً - خطراً يهدد مصالحها؛ بل لديها مخاوفها من موجة العنف الدامي التي تجتاح الوطن العربي.
- تعتبر السلفية في فلسطين كبقية التيارات السلفية المنتشرة في العالم، في تعريف نفسها، فهي تؤكد بأن مفهوم السلف يعني النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة والقرون الخيرة، أي أجيال الصحابة والتابعين وتابعي التابعين.
- مشاركة حماس في الانتخابات التشريعية، وسعيها للانخراط في المنظومة السياسية الفلسطينية، مما في ذلك منظمة التحرير، اعتبر برأي السلفيين اتباعاً من حماس لوسائل علمانية، وتبنياً للأسلوب الديمقراطي في الوصول للسلطة، وهو ما يتعارض مع الأسس الشرعية والفكرية التي تستند إليها السلفية الجهادية.
- يعتبر الانقسام الفلسطيني أحد أسباب نمو الحركات السلفية الجهادية، خاصة أن البعض وضعه في سياق الصراع على السلطة، وهو الذي أدى إلى تفشي التطرف في صفوف فئة من الشباب شعرت بالغبن والظلم، وهذا ما يفسر وجود أعضاء سابقين من حماس وفتح في صفوف الجماعات السلفية الجهادية المختلفة.
- يعود تأخر وصول السلفية الجهادية إلى فلسطين، إلى عدة أسباب؛ منها ما امتازت به الحركة الوطنية الفلسطينية تاريخياً من فاعلية وحضور لثراء تجربتها، ولإمسакها بكثير من مفاصل القوة داخل المجتمع. إضافة لقوة الحركة الإسلامية الفلسطينية وتجذرها داخل المجتمع.
- لم تبلغ المجموعات السلفية الجهادية في غزة مرحلة تهديد «حماس» ونفوذها في القطاع بعد، لكنها باتت تثير القلق.
- في حال تم التوصل إلى تهدئة أو اتفاق بين حركة حماس ودولة الاحتلال، ستعمل حركة حماس على تجفيف منابع وأوکار السلفيين الجهاديين.

- في حال تمت مصالحة بين حماس والسلفيين سيكون بمقدور حركة حماس أن تحكم قبضتها الأمنية بإحكام على قطاع غزة، وبالتالي من الممكن أن يشهد قطاع غزة فترات هدوء، وفترات عنف، حسب رؤية حركة حماس.
- من الممكن أن تخترق دولة الاحتلال الحركات السلفية في كل من فلسطين وسيناء من أجل تمرير مشروع غيورا ايلاند، الذي ينص على دمج قطاع غزة في جزء من سيناء لإقامة دولة فلسطينية؛ وذلك بعد عدوان صهيوني يهدف إلى تدمير القوة العسكرية لدى حماس.

التوصيات

1. الحفاظ على روح التعايش بين المكونات الدينية والاجتماعية والسياسية في المجتمع الفلسطيني، والتأكيد على أن التناقض الرئيس هو مع الاحتلال الإسرائيلي الذي يواصل ارتكاب جرائمه بحق كل الفلسطينيين دون تمييز، وتجريم فكرة استخدام السلاح في الخلافات داخل المجتمع الفلسطيني.
2. تعزيز حالة الانفتاح في المجتمع الفلسطيني ونشر الفكر المعتدل، واحتواء حالات التشدد الفكري، واعتماد آلية الحوار قبل اللجوء إلى المعالجات الأمنية التي تبقى ضرورية عند فشل الوسائل الأخرى.
3. التنبيه إلى محاولات بعض الأطراف الفلسطينية والإقليمية لاختراق، وربما إيجاد تشكيلات متشددة داخل المجتمع الفلسطيني، وعلى وجه الخصوص في قطاع غزة، بهدف خلط الأوراق وإحداث حالة بلبلة أمنية وترويج مقولة رعاية غزة للتشدد والتطرف، واتخاذ الإجراءات الكفيلة بتحسين المجتمع الفلسطيني تجاه تلك الاختراقات.
4. تعزيز وحدة المجتمع الفلسطيني والسعي الجاد لإنهاء الانقسام الفلسطيني، والتوافق على برنامج مشترك لإدارة المواجهة مع الاحتلال الإسرائيلي.
5. ترويج نموذج المقاومة الفلسطينية الناضج والراشد في مواجهة نماذج التشدد والعنف المنفلت وغير المرشّد.
6. إعطاء البعد العربي والإسلامي للقضية الفلسطينية حقه من الرعاية والاهتمام في ضوء مشروع نهضوي حضاري يوظف الطاقات بشكل إيجابي نحو مشروع التحرير.



مجلة المعهد المصرى

EGYPT INSTITUTE JOURNAL

حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة

www.ei-journal.org

الناشر



المرصد للنشر والصحافة والإعلام

ALMARSAD FOR PUBLISHING, PRESS & MEDIA

www.almarsad.co.uk